

مساعداا الفاتيكاف لإفريقيا

د. زينب عبد العزيز (*)

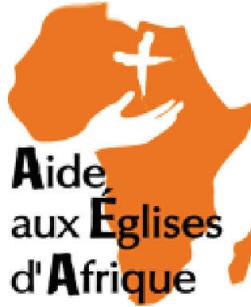
معنى السينودس:

يُقصد به «سينودس الأساقفة»، وهو عبارة عن مؤسّسة دائمة للكنيسة الكاثوليكية، أنشأها البابا بولس السادس في ١٥ سبتمبر ١٩٦٥م، عقب انتهاء مجمع الفاتيكاف الثاني الذي قرّر - من ضمن ما قرّر - تصفير العالم، وإسناد المساهمة في هذه المهمة إلى المسيحيين كافة، الكنسيين منهم والمدنيين، وهذه أول مرة في التاريخ الكنسي تقوم فيها الكنيسة بإصدار قرارات تنفيذية وفرضها على المدنيين كافة.

و«السينودس» هو كيان استشاري، يضم أساقفة ممثلين لجميع كنائس العالم، إضافة إلى الفاتيكاف، ولا تجتمع هذه المؤسّسة إلا بأمر من البابا مباشرة، لمناقشة موضوعات ذات أهمية بالنسبة للكنيسة.

ومن مهامّها تحديداً:

- أن تكون هذه المؤسّسة (السينودس) حلقة وصل واتصال بين البابا وجميع أساقفة العالم.
- أن تقدّم معلومات مباشرة وصادقة تتعلق بعمل الكنيسة في عالم اليوم، وهو «التصفير أكثر من أي وقت مضى».
- تسهيل تقارب وجهات النظر حول النقاط الأساسية لحياة الكنيسة واستمرارها.



المتأمل في الشارات المستخدمة للدلالة على الاجتماعات الكنسية الأسقفية، والتي تمّت بزعم أو تحت عنوان «مساعدة إفريقيا»، يُدرك على الفور، ودون كلمات تفسيرية، أو دليل للإثبات، لشرح مغزى هذه المؤتمرات واللقاءات المنعقدة تحت مسمّى «السينودس»، أن المقصود منها هو: تصفير إفريقيا! فالرسم الأول: يضع علامة الصليب بطول القارة الإفريقية، وتحت اسم البابا بنديكت ١٦، واسم مدينة «بنين» التي انعقد فيها والسنة، سنة ٢٠١١م، وتخرج منه

خطوط، مكتوب على كلّ خطّ منها أحد المحاور الأساسية للسينودس، وهي: المصالحة، العدل، السلام.

أما الشارة الثانية: فمكتوب عليها «مساعدة لكنائس إفريقيا»، وهو عبارة عن رسم للقارة الإفريقية مرسوم عليها يد ممدودة، تحمل الصليب لكلّ القارة، وهذه هي المساعدة الموجهة لإفريقيا! هذا المقال يسعى للكشف عن طبيعة هذه المساعداا، ووجهتها، واستغلالها لتحقيق أهداف تتعارض مع الشعارات المعلنة تحت مفاهيم: المصالحة والعدل والسلام.

(*) أستاذة الحضارة الفرنسية والأدب الفرنسي - جامعة المنوفية.



أما الموضوعات التي يتناولها السينودس فيجب أن تكون:

- ذات طابع عالمي.
- أن يمثّل الموضوع حاجة ماسّة لمضاعفة طاقات الكنيسة وإمكاناتها.
- أن يهدف إلى تطبيق رعيي تبشيري.
- أن يمكن تحقيقه على أرض الواقع وليس افتراضياً.

ويقوم مجلس الأمانة العامة بتقديم برنامج العمل الخاص بالموضوع، ثم يقوم الأساقفة بإعداد مداخلاتهم الخاصة، وبعدها يقوم البابا بدراساتها، وتقديم برنامج خطة الاجتماع، ثم يقوم بعد عدة أشهر من اجتماع السينودس بإصدار البيان التنفيذي لما تم الاتفاق عليه.

أول سينودس من أجل إفريقيا:

وقد أقيمت أول جمعية عامة لإفريقيا من ١٠ أبريل إلى ٨ مايو ١٩٩٤م، تحت عنوان «الكنيسة في إفريقيا ورسالتها التبشيرية حتى سنة ٢٠٠٠م»، والعنوان هنا شديد الوضوح وليس بحاجة إلى تفسير! ثم أقيمت ثاني جمعية عامة لإفريقيا من ٤ إلى ٢٥ أكتوبر ٢٠٠٩م، تحت عنوان: «الكنيسة في إفريقيا لخدمة المصالحة والعدل والسلام».

وفي الاجتماع الذي عُقد في ٦ يناير ١٩٨٩م، وكان عبارة عن جمعية خاصة للإعداد لهذا السينودس، طالبوا بأن يكون بمثابة تعبئة عامة لكل الكنائس والأتباع، ومن أهم النقاط التي طالبوا بدراستها خمسة محاور أساسية، هي: «كيفية تصير إفريقيا، الغرس الثقافي، الحوار بين الأديان، العدل والسلام، وضع وسائل الاتصال في خدمة الإنجيل».

ومن أهم ترتيبات الإعداد لكيفية السيطرة على القارة الإفريقية: كان البابا يوحنا بولس الثاني قد قام بإحدى عشرة زيارة لإفريقيا منذ توليه كرسي البابوية في سنة ١٩٧٨م، فذهب - من ضمن ما ذهب

- إلى الكاميرون، وجنوب إفريقيا، وكينيا، وبخاصة أوغندا، سنة ١٩٩٣م، ليتفادى أي عملية إحباط، وليمهّد الجوّ والتسويغ لإقامة السينودس في روما، وليس في أحد البلدان الإفريقية، ولقد تم الإعداد لهذا السينودس لمدة خمس سنوات قبل انعقاده.

ونظرة واحدة على نوعية المداخلات الفردية تكشف مجالات الاهتمام، ومنها: «العدل ٤٠ بحثاً، الغرس الثقافي ٣٦، العلمانية ٢٠، القبائل المسيحية ٢٧، الحوار بين الأديان ١٨، وضع الكنيسة ١٥، وسائل الاتصال ١٤، الزواج ١٣، الأسرة ١١، المبشرون ٩، القساوسة ٩، رجال الدين ٩، الشباب ٤، المدرسة ٤، الإنجيل ٣، علامات الزمان ٢، كتاب التعليم الديني ٢»، وذلك وفقاً لما أورده الأب شوفييه في «حوليات السينودس» (مجلة اسبيريتوس سبتمبر ١٩٩٤م).

سينودس ٢٠٠٩م:

نطالع في برنامج العمل لسينودس الأساقفة هذا، والمُقام من أجل إفريقيا، وانعقد من ٤ إلى ٢٥ أكتوبر ٢٠٠٩م، أن الكنيسة لا تزال تؤدي دوراً مهماً من أجل اقتلاع الإسلام من القارة بالتزامها بالعمل في المجالات المتعلقة بالإنسان، ومحاربة المسلمين، ومنها:

- أن وجود الإسلام في المنطقة يعرقل إجراء الحوار الهادئ مع الأفارقة.

- الزيجات المختلطة تكشف عنصرية بعض الجماعات الإسلامية.

وتجاهد الكنيسة للاطلاع على آراء بعض المسلمين الإيجابية، والتضامن معهم في حدود التعايش السلمي، والاستعانة بهم في محاربة الفساد والفقر، وإدخال أطفال المسلمين في المدارس المسيحية «مع احترام هويتهم المسلمة»! وذلك مع الاهتمام بالصحة والتعليم والإحسان.

ونطالع في وثيقة السينودس:

«بالإضافة إلى عملية التبشير، التي هي مهمتها

وعقب انتهاء هذا السينودس قدّم البابا يوحنا بولس الثاني قراراته التنفيذية لما تم الاتفاق عليه في بيان من مائة وخمسين صفحة، كلّها توجيهات للوجود الكنسي الرعوي في إفريقيا، والتي عليها أن تتحكم في تحركات الكنيسة الإفريقية في السنوات العشر التالية.

الدور المشين الذي لعبته الكنيسة وتدخّلها الإجرامي في رواندا، حيث قام بعض الآباء والراهبات بإشعال الحرائق في هاجر مكدسة بالأفارقة الفارين من ويلات الحرب.. لم يُنس بعد

وفي الخطوط العريضة الموجّهة للاجتماع نطالع في الفصل الأول:

«الموارد الطبيعية لإفريقيا الشديدة الثراء لا تتفق وحالة الفقر التي يعيشها الأهالي»، وهي إشارة لا تكفّ عن التردد في عدة أجزاء من البيان. إضافة إلى نظرتهم إلى الإسلام في الوثيقة نفسها: «ننظر إلى الإسلام هنا من حيث منظور السينودس وأهدافه، وهي: المصالحة والعدل والسلام، وعلينا فهم الإسلام في ديناميكيته الحالية، والتي لها أوجه ليست دائماً مطمئنة بالنسبة لعدم التسامح الديني، كما أن مردوده السياسي متنوع، بحيث يجعل من الصعب إقامة وسائل محدّدة من جانب واحد، وهو أمر لا بد منه، لذلك لا بد من عمل تفرقة بين بعده السياسي وبعده الديني، وفي هذا البُعد الديني: الفصل بين الإسلام والمسلمين، بحيث نميّز حوار الحياة... ومن هذا المنطلق؛ فإن الإسلام رفيق مهم لكنّه صعب»، وتنتهي الفقرة بأن «كلّ المسعى في إفريقيا هو إقامة ملكوت الربّ الذي هو مصالحة وعدل ومحبة». وهو ما يوضح

الرئيسية، فإن الكنيسة الكاثوليكية نشيطة في مجالات الإحسان والصحة والتعليم، وبصفة عامة المشاريع الإنسانية المتعددة.. ففي عام ٢٠٠٧م كان هناك ١٦١٧٨ مركزاً طبيياً تابعاً للكنيسة، موزّعة كالآتي: ١٠٧٤ مستشفى، ٥٢٧٣ عيادة خارجية، ١٨٦ عيادة للجذام، ٧٤٢ مصحة للمسنين، ٩٧٩ ملجأً للأيتام، ١٩٩٧ حضانة أطفال، ١٥٩٠ مركزاً للمصالحة الزوجية، ٢٩٤٧ مركزاً لإعادة التأهيل الاجتماعي و ١٢٧٩ مراكز صحية مختلفة».

وتوكّد وثائق المؤتمر أن مليون شخص يموتون كلّ عام من مرض حمى المستنقعات، وأن ٨٥٪ منهم من الأطفال.

ونطالع في الخطوط نفسها الموجّهة للسينودس: «أن الكنيسة الكاثوليكية بصفتها أمّ ومعلّمة تهتم بتبشير الإنجيل، لذلك تهتم بالتعليم، وهو ما يمكن ملاحظته من البيانات التالية:

للكنيسة الكاثوليكية في القارة الإفريقية: ١٢٤٩٦ مدرسة وحضانة بها ١٢٦٦٤٤٠ طفلاً، و ٣٢٢٦٢ مدرسة ابتدائية بها ١٤٠٦١٨٠٦ طلاب، و ٩٨٢٨ معهداً ثانوياً به ٣٧٢٨٢٢٨ تلميذاً، أما المعاهد العليا ففيها ٥٤٢٦٣ طالباً، وفي الجامعات يوجد ١١٠١١ طالباً يدرسون اللاهوت، و ٧٦٤٢٢ يدرسون مواد أخرى».

وقد اهتم السينودس بأسباب الحروب والفقر في إفريقيا، وطالب بالاهتمام بالأبار والمناجم، ومطالبة الشركات العاملة باحترام البيئة، كما طالب بإلغاء عقوبة الإعدام في إفريقيا، واحترام حقوق المرأة والطفل، وبمرض الإيدز.

وتشجيعاً للأفارقة: قام البابا بتعيين الكاردينال بيتر تركزن Peter Turcson كبيراً لأساقفة مدينة كيب كوست في غانا.

ويوضح البيان أن كنيسة إفريقيا الكاثوليكية تضمّ مليوناً وتسعاً وخمسين مسيحياً، يمثلون ١٤٪ من كاثوليك العالم.



كيفية الوجود المسيحي الكنسي في إفريقيا، وكيفية تغلغله في المجتمع.

سينودس «الكنيسة في إفريقيا، لخدمة المصالحة والسلام»:

انعقدت الجمعية الثانية الخاصة بإفريقيا في الفاتيكان من ٤ إلى ٢٥ أكتوبر ٢٠٠٩م، تحت عنوان «الكنيسة في إفريقيا لخدمة المصالحة والسلام»، وقد حضره حوالي ٢٥٠ أسقفًا المناقشة قضايا القارة، وهي واحدة من أكثر القارات تعرضاً للحروب، والفقر، وتوابع الاستعمار وما بعد الاستعمار، فالمعروف أن الشعوب الإفريقية ضحايا إدارة عامة فاسدة، بسبب السلطات المحلية التابعة للغرب، وبخاصة خضوعها لأسوأ أنواع الاستغلال من القوى الاستعمارية الخارجية.. ويبقى معرفة التوجهات الحقيقية لهذه الجمعية ومخططاتها.

يدفعنا عنوان هذه الجمعية إلى التساؤل حول معنى كلمة «مصالحة»، وما المقصود منها؟ مصالحة من وماذا؟!

فعلى الصعيد الإفريقي؛ إن جميع الحروب التي تُدار على أرضها ترجع خيوطها إلى أولئك الذين يحركون اللعبة في العالم، إلى قادة الغرب المتعصب، الاستعماري، المغتصب، الذي يلجأ إلى أعوانه المحليين ليقود لعبته، وهي قائمة على تجويع الأفارقة وانتزاع كنوزهم.

فهل المقصود مصالحة كل أطراف القادة المحتملين ليقوموا بلعبة أكثر دقة لتزهر الأفارقة وإجبارهم على مزيد من التنازلات؟ إن اختلاق الحروب المحلية بين الشعوب باتت لعبة تقليدية، ونذكر على سبيل المثال اختلاق مشكلة البربر في الجزائر لتقسيم البلاد؛ وحرب دارفور، حيث معظم سكانها من حفظة القرآن الكريم؛ وهل تفرض علينا هذه «المصالحة» أن نسكت عما تتم حياكته حالياً مع الأقليات المسيحية في البلدان ذات الأغلبية المسلمة لاختلاق الفتن والقلاقل؛ مثلما يدور

في مصر وغيرها من البلدان.. فأية «مصالحة» يقصدون؟!

وعلى الصعيد الكنسي؛ عن أية «مصالحة» يمكن أن نتحدث؟ إن كل الكنائس، وقد أصبح عددها ٢٤٩ كنيسة، كلها أعضاء في مجلس الكنائس العالمي، ما عدا الفاتيكان، وذلك لكي يمكنه مساعدتها من الخارج أكثر مما لو كان منضماً إليها، وجميعها تتضامن وتتسابق بعته محموم لتتصير العالم، فهل المقصود ب «المصالحة» ضم كل هؤلاء المنشقين عقائدياً لاختلاق الكنيسة العالمية التي يسعى إليها بابا روما؛ شريطة أن تكون تحت لوائه؟

أو هي «مصالحة» للتغني بعملية تتصير واحدة لمزيد من اعتصار الشعوب الإفريقية، والقيام بفرض عملية غرس ثقافي لا إنسانية، والتوغل أكثر لاقتلاع أحشائها، والعمل على إبادتهم؟

إن الدور المشين الذي لعبته الكنيسة وتدخّلها الإجماعي في رواندا، حيث قام بعض الآباء والراهبات بإشعال الحرائق في هناجر مكدّسة بالأفارقة الفارين من ويلات الحرب.. لم يُنس بعد، وما أكثر الفضائح التي تُكشفت ولا تزال تتكشف حتى يومنا هذا!

وهل تفرض علينا هذه «المصالحة» أن نسكت عن الدور المشين الآخر لموقف الكنيسة من «العازل الطبي» الذي تسبّب عدم السماح به في قتل آلاف من الأفارقة المصابين بالإيدز، فقد أحرقت الكنيسة كل ما كان قد تم استحضاره في أحد الميادين العامة، فما المقصود ب «المصالحة» هنا؟ مزيد من القتل الإجماعي مشعلي الحرائق، أم مزيد من الاستعمار الجديد؟

ونطالع في نصوص وثيقة إعداد هذا السينودس أن المقصود ب «المصالحة» هو «مصالحة الفرد مع الكنيسة، واعترافه للقس بعودته إلى أحضانها، وحصوله على المناولة تعبيراً عن قبول دخوله إلى الكنيسة أو عودته إليها» إذا ما كان قد فرّ منها..

وقد أشرنا من قبل أنها المرة الأولى في تاريخ الكنيسة أن تقوم بإصدار قرارات تنفيذية متعلقة بالمدنيين كافة.. وهو ما يدلّ في الوقت نفسه على التضامن بين الجانب الكنسي والجانب السياسي في الغرب المسيحي المتعصّب لاقتلاع الإسلام. بل لقد وصل العتّة إلى تكوين فرق مبشرين من الشباب ومن الأطفال!! أما التقنيات الحديثة فلم يتم استنساؤها، وجميعها تحت إمرة البابا، من أجل تنمية ثقافة تبشيرية تنصيرية، وفرض ما يُطلق عليه «الكلمة الوحيدة التي يمكنها إنقاذ البشر، وهي الإنجيل»، فهل ينوي البابا أخيراً أن يقوم بمصالحة بين العقل والإيمان، ويقرّ أنه من حق هؤلاء المسلمين الذين يحاول اقتلاعهم من دينهم؛ من حقهم أن يحبوا ويتمسكوا بدينهم؟!

الحقائق الخافية وراء هذه الاجتماعات:

والهدف الحقيقي من انعقاد هذه الجمعية يبدو بوضوح مما نطالعُه بتاريخ ٢٧ أكتوبر على أحد مواقع الفاتيكان؛ أن الآباء المجتمعين قد قاموا في نهاية الجمعية «بتوجيه الشكر لله على وفرة الموارد الطبيعية الموجودة في إفريقيا»!

ولا نفهم ما دخل «الموارد الطبيعية» هنا في اجتماع كنسي؟ ويا له من شكر يكشف عما وراءه! بما أن ما يتكشّف ليس إلا هدف اقتصادي سياسي لتلك الجمعية «الدينية» التي اجتمعت من أجله؛ إذ نطالع بوضوح: «أن الموارد المعدنية الإفريقية تساوي ٤٦٢٠٠ مليار دولار»، وأنه بما قيمته «١٢٪ من هذا المبلغ يمكن لإفريقيا أن تقوم بتمويل بنية تحتية على المستوى الأوروبي»، وهو ما يكشف بوضوح عن الهدف غير المعلن تحت ذلك العنوان الكاذب؛ لأن الأمر لا يتعلق إلا بكيفية التهام هذه الفريسة الدسمة!

ونطالع في بحث أجراه داوود بيلارد D. Beylard، رجل الاقتصاد الكنفولي، في «مجلة إفريقيايات» (وهي مجلة اقتصادية لكل إفريقيا)،

«المصالحة» إذاً هو تعبير جديد أُدرج من باب التموهيه بدلاً من كلمة «الاعتراف» و «المناولة» التي أبعدت الكثير من الأتباع لعدم استساغتهم معناها، وهي «الإيمان بأنه يأكل لحم المسيح ويشرب دمه فعلاً وحقيقة»؛ والذي ينفّر المستهدفين من اعتناق المسيحية.

وتعتمد الكنيسة حالياً، كما توضح الوثائق، على التعامل مع جيل ما بعد الاستقلال، فذلك الجيل الذي انتهى وكان يذكر حقائق وصرعات عاشها مع المستعمر، ومع الكنيسة التي دائماً تواكبه وتسير على خطاه، فأصبح الجيل الحالي أكثر سهولة في التعامل، وفي التأثير فيه، لابتعاده عن عهود الاستعمار وجرائمه.

عجز مدفوعات الفاتيكان عام ٢٠٠٢م، وصل إلى ثلاثة عشر مليون ونصف المليون يورو، وذلك بالرغم من موارده التي لا يتخيلها عقل

أما على صعيد الحرب التي يقودها الفاتيكان ضد الإسلام؛ فما من إنسان يجهل اليوم الهوس الذي يقود به مسيرته لاقتلاع الإسلام، وقد شبّتها جريدة لوموند الفرنسية بعبارة أنه «يسير على الإسلام بوابور زلّط»!

وما من إنسان يجهل الوسائل التي أعدها الفاتيكان للإسراع بذلك الاقتلاع، فهي ترسانة يمتد عتاها بدءاً من رجال الكنيسة إلى كل العلمانيين، مروراً بعدد لا يحصى من البعثات التنصيرية، والمنظمات، والمؤسسات، ووسائل الإعلام، والإنترنت، ورجال السياسة، والسياح، اختصاراً ورسمياً؛ ما من مسيحي معفى من المساهمة في عملية التنصير التي فرضها مجمع الفاتيكان الثاني (١٩٦٥م) على الأتباع كافة.



هذه الجمعية: «وفقاً لدراسة قامت بها جمعية استشارية متخصصة في الاستثمار في إفريقيا؛ فإنه يوجد في هذه القارة عشرة ملايين منجم من المواد الأولية الخام، سواء في البر أو في البحر، ولا يُستغل منها سوى مائة ألف، ويظل تسعة ملايين وتسعمائة موقع، أي 90٪ من الثروات غير مستغل إطلاقاً، والأدهى من ذلك كلها مواقع معروفة ومسجلة في أحد بنوك المعلومات المزودة بتقنيات الأقمار الصناعية والمعلوماتية الأكثر تحديلاً».

فليس بغريب إذاً أن نقرأ في نهاية انعقاد هذه الجمعية «الدينية» عبارة: «أن الكنيسة سوف تبحث عن إقامة نظام معلوماتي في كافة البلدان الإفريقية لإدارة الموارد الطبيعية»... فما شأن الكنيسة بمراقبة الموارد الطبيعية لبلد ما إن لم يكن يعني مزيداً من التدخّل، ومزيداً من التحكم، من أجل السيطرة على هذه الموارد الطبيعية وكل ما تجلبه من ثروات؟!

أي أن الأمر لا يتعلق بالمصالحة، بمعنى اجتذاب مزيد من الأتباع فحسب، وإنما بعملية استعمار مزدوجة، استعمار جديد اقتصادي، وسوف يزداد ضراوة بالاستغلال العشوائي للموارد الطبيعية، استغلال يداري عملية السرقة المخططة لهذه الثروات، وعملية استعمار جديد يرمي إلى الحفاظ على إخضاع إفريقيا للحاجة المالية التي تُعطى لها قطرة قطرة، عن طريق استبعاد أخلاقي سياسي يفرض معايير الانفلتات الغربي المتطرّف على الشعوب الإفريقية، عن طريق مختلف السلطات.

وإلى كلّ الذين يمكنهم أن يتساءلوا: كيف يمكن لأقوى مؤسسة دينية في العالم أن تتجرّف في مثل هذه المغامرة الفاضحة واللاإنسانية؟

نقول ببساطة: يكفي أن نطالع عجز مدفوعات الفاتيكان عام 2002م، حيث وصل إلى ثلاثة عشر مليون ونصف المليون يورو، وذلك بالرغم من موارده التي لا يتخيّلها عقل، لكن يكفي أن نقرأ

يتضح أن مجمل الثروات الإفريقية يصل إلى ستة وأربعين مليار ومائتي مليون دولار، إذ يقول: «إن القيمة المالية للمناجم الإفريقية في المواد الخام الأولية التي تم اكتشافها للآن يصل إلى 46,200 مليار دولار! لماذا إذن لا تفتح إفريقيا في الاستفادة من مثل هذه الثروات التي تفوق ثلاث عشرة مرة العائد السنوي للصين؟! إنها ثروة تكفي وتزيد بكثير لتحويل القارة الإفريقية إلى واحدة من القوى العظمى في العالم».

وهذا التخصير في تنمية إفريقيا، في مجمله، هو النموذج الاقتصادي القائم على تمويل استثمائي، يجيد الغرب العنصري المغتصب كيف يقوده، وما هو مثال آخر يقدّمه الباحث: «هنا كشركات مناجم بلا إمكانيات معقولة، وأحياناً بلا عاملين ولا مكاتب، تتبع شركات مساهمة مجهولة، مقيّدة في السجلات الضريبية، وتصل بفضل الوعود والاستعراضات إلى إقناع الحكومات الإفريقية بأن تُسند إليها تنازلات منجمية ضخمة لاستغلالها، وما أن يتم الحصول على العقد؛ فإن هذه الشركات تسارع إلى تمويل شحيح، عادة ما يكون من كندا، لإضفاء قيمة على الأسهم الإفريقية، وأخذ أرباح بفائض قيمة ضخّم حتى قبل أن يتم رفع جرام واحد من أرض المناجم التي حصلوا على حق استغلالها!»!

وهو ما يعني عملياً أنهم يختلقون ثروة بضمّان الموارد الإفريقية؛ دون أن تكون هذه الموارد قد تم استغلالها فعلاً، والأدهى من ذلك دون أن تأتي بأية أرباح للملاك الحقيقيين (الأفارقة)، أصحاب الحق المهضوم، فإيا له من موقف فاضح! خصوصاً حين نفكر في أن نظام التمويل الدولي مصاص الدماء، العنصري، يستمر في مطالبة الأفارقة بدفع الأرباح المركّبة للديون التي يتورطون فيها عن طريق صندوق النقد الدولي!

وإضافة إلى ما تقدّم نقل ذلك الاستشهاد المأخوذ من أحد الأبحاث المقدّمة في اجتماعات

أيديولوجيات البرامج الدولية يتم فرضها على بلدانا تحت أسباب كاذبة تربط المساعدة بالتنمية».

شَبَّهت جريدة لوموند الفرنسية الحرب التي يقودها الفاتيكان ضد الإسلام بعبارة أنه «يسير على الإسلام بوابور زلط»!

ثم تناول تحدياً آخر للكنيسة في إفريقيا مشيراً إلى «ضرورة تكوين رجال سياسيين مسيحيين، وأن يؤمنوا لهم تعليماً وتكويناً دينياً متيناً بفضل الإنجيل ولاهوت الأخلاق، والعقيدة الاجتماعية للكنيسة، وتاريخ الكنيسة، إضافة إلى وسائل قانونية تسمح بحماية الأسرة المسيحية».. مشيراً إلى «أن الآباء المجتمعين أشاروا إلى أنه لا يكفي تكوين بعض المدنيين لتولي قيادة الكنيسة في بلدانا، وإنما لا بد من مصاحبتهم في تنفيذ التزاماتهم تجاهها، لنجعل منهم عوامل تغيير المجتمع».

ولم يُغفل الكاردينال تركضن وضع «الفرق»، ويقصد بها مختلف الفرق الدينية الأخرى غير الكاثوليكية، ويدخل ضمنها المسلمون «فهم يجذبون الأتباع الكاثوليك بشدة، خصوصاً أنهم في صراع مع المشاكل الاجتماعية، وبحاجة إلى حلول سريعة لمشاكلهم».

وتوقّف الأمين العام للسينودس طويلاً عند المصاعب التي يواجهها بعض العاملين الرعويين؛ مما يمثّل صعوبة لهم في الاستمرار بوعدهم للكنيسة، و «أنه يتعيّن على الكنيسة في إفريقيا أن تتغير من الداخل، فالظلال التي تخيم على إفريقيا لا تزال موجودة، مؤكداً ضرورة الفرس الثقافي للإنجيل، وتصوير الثقافة، وفقاً لما أشار إليه برنامج عمل السينودس»!

ما كتبه توني باشبى T. Bushby في كتابه حول «البلايين البابوية»، وأن نتذكر فضيحة بنك أمبروزيانو، وتورط الفاتيكان مع المافيا الإيطالية، وارتباطه بعمليات غسل أموال، وتهريب السلاح، والاتجار في المخدرات، لنرى إلى أي مدى وصل الفساد المرتبط بالمافيا في هذه المدينة التي تمثّل بقايا الإمبراطورية البابوية، والخلاف حول قضية «المسألة الرومانية».

فالفاتيكان دولة تم اختلاقها في ١١ فبراير ١٩٢٩م، كممثل مدني للكرسي الرسولي، والسبب الوحيد في وجود مثل هذه الدولة هو تلك الرغبة الراسخة للكنيسة في التثبيت بالسلطتين الدنيوية والدينية، بأي ثمن كان، حتى على حساب نهب شعوب قارة بأسرها وتبصيرها، حتى تسهل قيادتها والتحكّم فيها لاستغلالها.

تحديات إفريقيا والتصير:

المعروف أن قارة إفريقيا شديدة الثراء والثروات الطبيعية، إلا أن ثراء مواردها المتعدّدة لا ينعكس على المواطنين، فالشركات التي تعمل على اقتلاع هذه الثروات وامتصاصها نادراً ما تقدّم بيانات أو تعرض نتائج أعمالها، بل هناك بعض القيادات التي تساهم في عمليات الإخفاء أو الضياع هذه.

وبعد انتهاء اجتماع السينودس قام الكاردينال بيتر تركضن، كبير أساقفة كيب كوست في غانا وأمين عام السينودس، بتحديد النقاط الأساسية التي تواجهها الكنيسة في إفريقيا، وقد بدأ بتلخيص مختلف المداخلات، وأضعا في الصدارة حالة الأسرة والمرأة في إفريقيا: «إن الأسرة مهدّدة في إفريقيا بسبب الأيديولوجيات الخطرة التي يفرضها الغرب، ومنها «نظرية النوع»، وهي البدعة التي حاول «مؤتمر المرأة والإسكان» في القاهرة ثم «مؤتمر بكين» أن يفرضها تحديداً على العالم الإسلامي والعربي.

وقد أشار الكاردينال تركضن بوضوح قائلاً: «إن



صوت أحد الآباء:

ومن المداخلات التي تقدّم بها أحد الآباء المشاركين، البطريرك «أبونا بولس» كما يلقّبونه، وهي من المداخلات الكاشفة للغرب، إذ قال: «أنتهز فرصة انعقاد هذه الجمعية لأدعو جميع المسؤولين الدينيين أن يعملوا من أجل السلام، وحماية الموارد الطبيعية التي حباها بها الرب، وأن يدافعوا عن حياة الأطفال الأبرياء (...). إن قارة إفريقيا طيبة، وأرضها خصبة، غنية بالموارد الطبيعية، ومجموعة ضخمة متنوعة من النباتات والحيوانات. وحيث أن القارة لا تزال تمتلك العديد من الموارد الطبيعية التي لم تُستغل بعد؛ فالكثيرين يوجّهون إليها أنظارهم، ولا يمكننا إنكار أن تقدّم الحضارات في الأماكن الأخرى من العالم هي نتيجة العمل والموارد القادمة من إفريقيا.. لقد عمل الأفارقة كثيراً من أجل العالم، فما الذي عمله العالم من أجلهم؟».

«لقد تم استعمار إفريقيا بوحشية، وتم استغلال مواردها بقسوة، وقد ساهمت البلدان الغنية على استغلال الموارد الإفريقية ولا يتذكرون إفريقيا إلا حينما يحتاجون منها إلى شيء ما.. إنهم لم يعاونوا القارة أبداً في صراعها من أجل التنمية».

ومن أهم النقاط التي أثارها الأب بولس رئيس الكنيسة الأرثوذكسية في الحبشة، والذي توفي منذ أيام، فوزى المتطرفين، والديون العالمية، والأطفال الجنود، إذ «أن إفريقيا مكبّلة بسلاسل الديون العالمية، ولذلك فلا الجيل الحالي ولا الأجيال القادمة سيمكنها تحمّل ذلك».

وقد أدان البلدان الإفريقية التي تستخدم الأطفال دون الثامنة عشرة في التجنيد، وتكوّن منهم «فرق محاربين»! مضيفاً: «أن الديون الضخمة، وقيام بعض الأفراد باستغلال الموارد الطبيعية، واستمرار الأساليب الزراعية التقليدية،

وعدم إدخال الوسائل الحديثة بالقدر الكافي، وانعكاس الأمطار الغزيرة على المحاصيل الزراعية التي تعتمد عليها الشعوب الإفريقية في أمنهم الغذائي، وهروب العقول خارج إفريقيا، إضافة إلى نقص التعليم للشباب، وعدم كفايته الذي يمثل المشكلة الرئيسية للشباب، تمس بأمن القارة بشكل خطير».

وماذا بعد؟:

وبعد تناول أهم الخطوط العريضة التي تم وضعها من أجل تنصير إفريقيا بكاملها، وعرض أهم المشكلات الرئيسية التي تناولتها الأبحاث الكنسية، والهادفة إلى مزيد من التنصير، وتناول كثير منها قضية الثراء الضخم للقارة الذي لا يزال لم يُستغل بعد، وأن ما يتم استغلاله لا تعود فائدته على الأفارقة أصحاب الحق، وإنما يذهب إلى الشركات الغربية التي كثير منها يتحالي من أجل مزيد من السرقات، لإغراق القارة في ديون لا سبيل إلى الإفاقعة منها، وكيف أن الغرب لا يكفّ عن فرض قيمه المنحّلة على شعوب قارة لها تراثها وحضارتها العريقة، من أجل اقتلاع هويتها، وفرض أنماط معيشتها، بغية مزيد من السيطرة والاستغلال، لا يسعنا إلا أن نتساءل: أين نحن المسلمون؟

أين نحن من كلّ هذه المآسي والمحن، والتي لا تعني حينما نُعرض عن مواجهتها إلا مزيداً من المآسي والمحن والاستغلال، وأين نحن من التضامن والعمل لكي تكون خيرات القارة لأصحابها وشعوبها؟ أين نحن بوصفنا مسلمين، لا من أجل حماية الدين فحسب، ولكن أيضاً من أجل حماية الأرض نفسها التي نقف عليها، وحماية كرامة الإنسان، وتنفيذ تعاليم المولى عز وجل، ومن أهمها الأمر بالتعاون والعمل الصالح: من أجل الأمة وليس من أجل حفنة أفراد؟ أين نحن...؟ ويا لهول ما نحمله في الأعناق!